

ولقد ذهب علم النفس في تعليقه لذلك إلى أن التقليد ينتج عن طبيعة الانقياد لمن يراه المقلد أعظم منه شخصية في أي جانب من جوانب التفوق، أو ربما يرجع إلى قانون الاقتصاد في الجهد: بمعنى أن يصل الانسان إلى قناعة أن أحداً قد سبقه إلى التفكير في الرأي ليأخذ هو خلاصته.

غير أن دافع الانقياد قد يكون الحب، وقد يكون الخوف. وليست القدوة كذلك؛ فإن باعثها إنما هو الحب والاحترام فلم تكن العلاقة بين المقتدي والمقتدى علاقة استعلاء وتسلط وقهر فكري أو مادي، ولكنها اقتداء واقتفاء لخطوات راشدة وسيرة حميدة، واستقامة واعية.

ولقد أمر نبينا صلوات الله عليه بأن يقتدي بالأنبياء السابقين في أخلاقهم الحميدة، وشيمهم الرفيعة. يقتدي بهم في عاطر سيرتهم، وصبرهم على الأذى في سبيل نشر الدعوة؛ فكانت حصيلة الدرس الإلهي زاخرة بالمناقب والفضائل التي تحلّى بها رسولنا الكريم صلوات الله عليه، حيث جمع ما كان مجتمعاً فيهم من صفات الكمال وحميد الخصال فنال باستيعابه الدرس التطبيقي أعظم شهادة وأسمى جائزة، فلا جرم أن كان خاتم الأنبياء والمرسلين.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ (1) ﴿أُو۟لَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَ
وَالنَّبُوَّةَ ۚ إِنَّ يَسْتَخْفِرُ بِهَا كُفَرِيَ ۚ فَتَقَدَّرَ وَكُنَّا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩٠﴾
أُو۟لَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيَهْدِيهِمْ لِأَشْرَكُو۟ا عَلَيْهِمْ أَجْرًا ۚ إِنَّ هُوَ لَآ
ذِكْرَىٰ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (2).

فدعائم الدرس ثلاث: الكتاب، والحكم، والنبوة. ورغم ما تشتمل عليه هذه الدعائم من وضوح؛ فقد قُوبلت بالجحود والنكران ممن لم يع الدرس.

(1) سورة القلم، الآية: 4.

(2) سورة الأنعام، الآيتان: 90، 91.